أساطير وحكايات

بدور المسكينة والكلب الأعرج



دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

بُدُورُ وَالكلبُ الأعرجُ

تأليف : محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

حملت بدور دلوى الماء على كتفيها الضعيفتين وسارت والفجر لا زال في خدره وخرجت من المنزل قاصدة الغدير لتملأها. . سارت في الظلام تنظر حولها إلى أشجار الغابة بخوف ورعب وأخذت تبتهل إلى الله أن يقيها شر حيواناتها المتوحشة ويعجل بطلوع النهار. .

ووصلت إلى النهر وانحنت تملأ الجرتين الواحدة بعد الأخرى وجلست لتسترد أنفاسها قبل رحلة العودة المتعبة وهي تحمل هذا الثقل على كتفيها. .

سمعت إلى جوارها صوت أنين خافت فإلتفتت نحو مصدره مذعورة فشاهدت كلباً صغيراً جميل الصورة ينظر إليها ويصدر هذا الأنين الحزين، أسرعت إليه وحملته بحنان وقالت:

ـ ماذا بك أيها المسكين؟ هل تشكو من شيء. .

وأخذت تفحصه وما كادت تلمس ساقه حتى صرخ من الألم فقالت بإشفاق:

ـ يا مسكين. . إنها مكسورة. . من الذي فعل بك هذا. .

ووضعته على الأرض برفق ثم بحثت حولها حتى عثرت على قطعتين من الخشب مستقيمتين وقطعت طرف ردائها وقالت:

ـ هل تتحمل الألم قليلاً. سأجبرها لك فتعود كما كانت. .



نظر إليها الكلب بإستسلام فأمسكت بالساق المكسورة وحشرتها بين قطعتي الخشب ثم أخذت تلفها جميعاً بقطعة القماش لفاً شديداً ثم ربطتها جيداً والكلب صابر على ألمه لا يئن ولا يظهر ألمه إلاَّ من تلك النظرة الحزينة الصامتة..

قالت بدور وهي تحمله وتضمه إلى صدرها:

- ستكون أحسن حالاً.. والآن أين أذهب بك؟ إن إمرأة أبي إمرأة قاسية ولن تسمح لي بإبقاءك معي..

وفكرت برهة ثم قالت:

- ولكن لا عليك.. سأخبئك في مخزن الغلال حتى يتم شفاءك.. هيا بنا..

ولما كان حجم الكلب صغيراً جداً وضعته في جيب مريلتها الواسع وحملت الماء فشعرت به أخف وزناً وهي تتسلى بالحديث إلى الكلب المسكين الذي أبرز رأسه وأخذ ينظر إليها بعينيه الجميلتين. .

قالت له لتتسلى أثناء سيرها:

ـ لقد ماتت أمي وتزوج أبي من بعدها زوجته هذه. . هل لك أم؟

أغمض الكلب عينيه بحزن فقالت بفرح:

ـ لك أم؟ أين هي لأذهب بك إليها؟

هز الكلب رأسه بحزن فقالت بدهشة:

ـ إنك تفهمني. . عجيب أنت يا عزيزي. . هذا جميل يمكننا إذن أن نتبادل الحديث فأشكو إليك ما أعانيه من ظلم هذه المرأة وبناتها. . إنهنَّ لسنَّ بنات أبي بل من زوجها السابق. .

وتنهدت بدور بحزن:

ـ إنهن الآن يغطون في نومهم وعليَّ أنا أن أستيقظ مبكرة فأشعل النار وأحمل الجرتين لأملأهما من النهر ثم أحلب البقرة وأعد لهم الطعام وبعد أوقظ أبي سامحه الله ويتولى هو إيقاظهن فقد حرمت عليَّ الإقتراب من غرفهن لأن ثيابي قذرة. . أحقاً ثيابي قذرة يا كلبي العزيز؟

هز الكلب رأسه نفياً فقالت:

ـ ومع ذلك فإن والدي وافقها على ذلك. . حتى النوم حرموني من فراش مثلهن، فألقت لي بحشية خشنة وبعض الأغطية البالية لتكون لي غطاءاً. . إنهم جميعاً ظلمة يا كلبي العزيز. .

ونظرت إلى الكلب فرأت دمعة تسقط من عينيه فقالت بحب وحنان:



ـ أتبكي من أجلي؟ يا لك من كلب رقيق القلب..

وكانت قد وصلت إلى قرب المنزل فوضعت الجرتين على الأرض وأسرعت إلى مخزن الغلال واختارت مكاناً أميناً في أحد الأركان وأعدت له مكاناً فرشته ببعض القش الناعم من طعام البقرة وقالت:

ـ سأعود أليك ببعض الطعام ولكن بعد قليل..

هز الكلب رأسه وودعها بنظرة شكر عميقة.. وما أن خرجت وأغلقت الباب حتى إنتفض الكلب فإذا هو شاب جميل الصورة نظر إلى الخارج بحذر وسار نحو المنزل وهو يعرج..

* * *

أفرغت بدور الماء وأسرعت إلى المطبخ لتعد الطعام ثم خرجت من الباب الخلفي إلى حظيرة الماشية وجلست تحلب البقرة وهي تتحدث إليها وتلاطفها حتى ملأت الوعاء باللبن.. تلفتت حولها بحذر وأفرغت بعض اللبن في وعاء صغير وضعته جانباً وأغلقت باب الحظيرة وعادت إلى الدار ثم أسرعت ودقت باب غرفة والدها وقالت:

ـ أبي.. لقد أعددت الطعام.

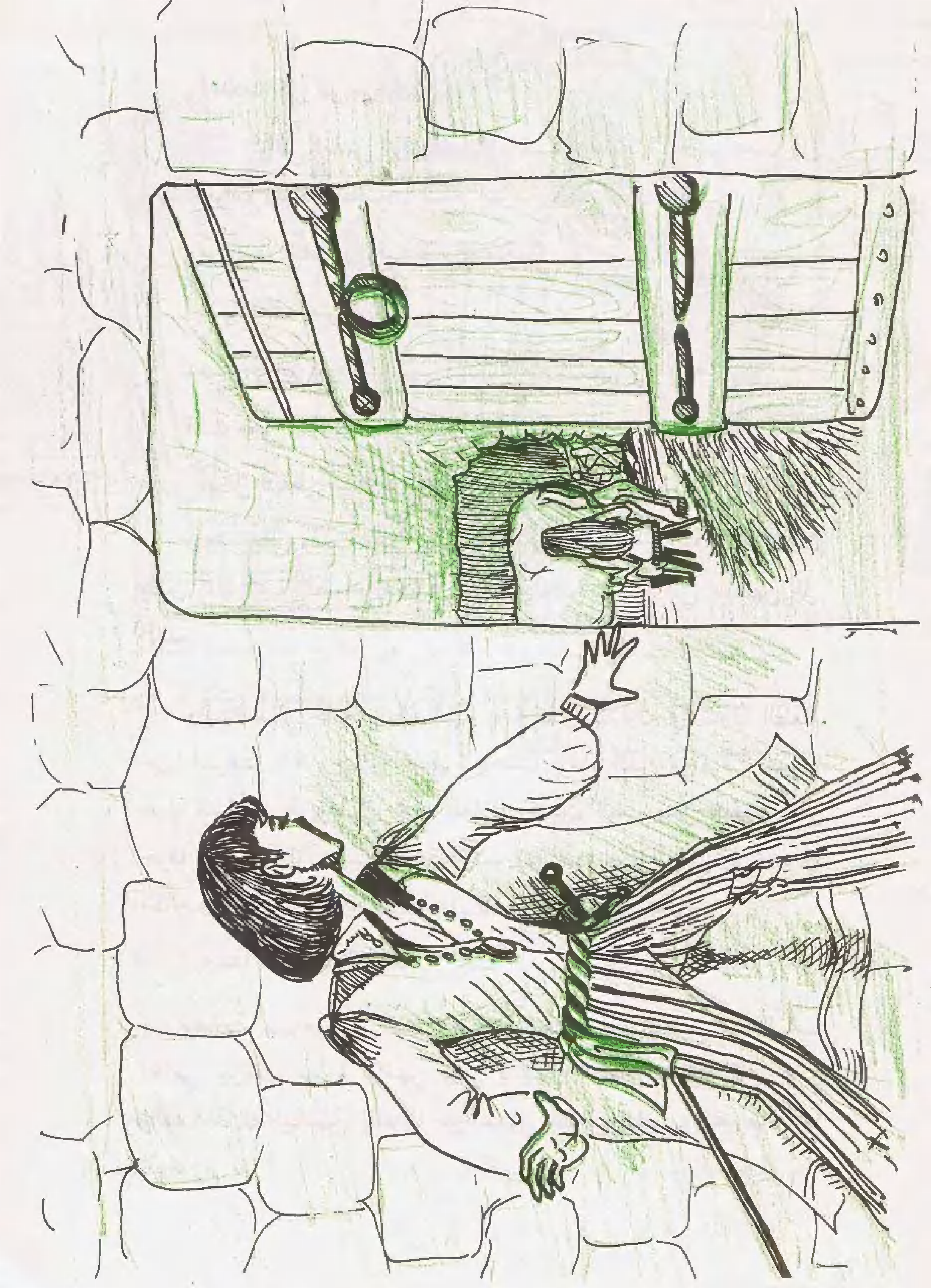
فتح والدها الباب وكان بادي الشراسة والقسوة فتقدمت منه وأمسكت بيده وقبلتها بإحترام وقالت:

ـ صباح الخير يا أبي..

نظر إليها شذراً وقال:

ـ هل أعددت كل شيء.. لا أريد أن تغضب زوجتي العزيزة

أجابته بذلة وإنكسار:



ـ أعددت كل شيء يا أبي. .

ذهب الوالد القاسي إلى المغسلة فإغتسل وهندم ثيابه ثم ذهب إلى أحد الأبواب وطرقه بلطف. . سمع صوت زوجته تقول بغضب:

ـ من يدق الباب والوقت لا زال مبكراً؟

أجابها بلطف متزايد:

ـ صباح الخير يا عصفورتي. . إن الطعام الشهي في الإنتظار. .

قالت وهي تتثاءب:

ـ أدخل لتيقظ حبيباتي. .

وبعد تدلل وتمنع نهضن من الأسرة الوثيرة متذمرات. . ودون أن يلقين عليه تحية الصباح غادرن الغرفة ليلحقوا بأمهن التي سبقتهن إلى المائدة. .

وقفت بدور خارجاً تنظر إليهم وما كادوا يبدأون في تناول الطعام حتى أسرعت بالخروج إلى الحظيرة وحملت بوعاء اللبن وواصلت سيرها حول النزل في طريقها إلى مخزن الغلال وفتحت الباب وهي تتلفت بذعر حولها وأسرعت إلى حيث تركت الكلب ووضعت الوعاء ولكنها لم تجده في مكانه وأدركت أنه في مكان ما يزيل قذوره فقالت على عجل:

ـ عندما تنتهي هناك اللبن. . يجب أن أذهب حتى لا يتفقدوني. .

وعادت مسرعة من حيث جاءت ودخلت إلى المطبخ من الباب الخلفي ووقفت بهدوء تراقبهن وهن يلتهمن الطعام بشراهة بينما غادر والدها مكانه ليأتيهن بالمزيد من عسل النحل الشهي المحرّم عليها تذوقه. . .



سمعوا دقات على الباب وكان الرجل على مقربة منه ففتحه فشاهد أمامه شاباً جميلاً يرتدي ثياباً فاخرة مزينة بالذهب والفضة ويتكىء على عصا مقبضها من الذهب الخالص...

قال الشاب:

ـ هل أجد لديكم جرعة ماء...

نظرت إليه بدور بإعجاب شديد وأسرعت لتأتيه بقدح من الماء وكانت المرأة وبناتها قد غادرن المائدة مسرعات وذهبت إلى الشاب وقالت المرأة:

ـ تفضل بالدخول...

سارع وهو يعرج وجلس إلى أحد المقاعد وكانت بدور قد جاءت حاملة قدح الماء...

انقضت عليها المرأة وانتزعت منها الكوب ودفعتها قائلة:

ـ هل تظهرين بقذارتك هذه أمام ضيفنا العظيم...

تراجعت بدور والشاب يتابعها ببصره بإعجاب وتناول قدح الماء من المرأة وقال:

ـ أهي خادمتكم؟.

أجابته المرأة على الفور:

ـ نعم... انها ملعونة وقذرة... بالرغم من عطفنا عليها والعناية بها فانها تبدو هكذا دائماً... قذرة مشعثة الشعر...

قال الشاب:

ـ ولكني أراها نظيفة ممشطة الشعر...

ارتج القول على المرأة ولكن سرعان ما عادت إلى تملقه فقالت:

ـ هل يشرفنا السيد ويتناول طعام إفطاره معنا؟...

أجابها الشاب:

ـ أفعل إن جلست هذه المسكينة وتناولت الطعام معنا...

بهتت المرأة وظهر عليها التذمر فقال الشاب:

ـ يبدو أن طلبي لم يرضي السيدة... لا بأس إذن... اسمحوا لي فيجب أن أعود إلى القصر...

بهتت المرأة وقالت:

ـ القصر؟... أي قصر؟... ليس بالمدينة إلا قصر الملك؟..

أجابها الشاب:

ـ نعم وأنا مدعو لزيارة الملك عمي ولكن أثناء عبوري النهر بجوادي

تعثر جوادي وسقط بي فأصبت في ساقي...

همست المرأة لبناتها:

ـ الملك عمه، إنه أمير إذن...

قالت المرأة وهي تنحني أمامه باحترام:



ـ انه شرف عظيم أن يشرفنا الأمير بهذه الزيارة... تفضل يا مولاي...

قال الأمير الشاب:

ـ كأنك وافقت على شرطي؟...

أجابته دون تردد:

ـ وهل يسعني رفض طلب لمولاي وإن كنت أخشى على مولاي من رائحتها الكريهة...

وقف الأمير وسار وهو يعرج إلى بدور التي وقفت في مكانها محرجة وقال:

ـ تفضلي وشاركيني الطعام. . .

أجابته بدور بلباقة:

ـ إنني مجرد خادمة بسيطة يا مولاي وسأكون في خدمة مولاي أثناء تناوله الطعام.

أجابها الأمير:

ـ ولكني اشترطت لأتناول هذا الطعام أن تتناوليه معي وقد تفضلت سيدتك بالموافقة على ذلك. . .

والتفت إلى المرأة وقال:

ـ أليس كذلك يا سيدتي؟. . .

كانت المرأة تتميز غيظاً من اهتمام الأمير ببدور وإهماله بناتها ولكن لم يسعها إلا أن تتكلف الابتسام وتقول:

ـ نعم. . . نعم. . .

ونظرت إلى بدور شذاراً وقالت:

ـ إجلسي هناك. . .

إلتفت إليها الأمير بهدوء وسحب مقعداً إلى جواره وقال:

ـ بل تجلس هنا إلى جواري. . .

إزدادت دهشة بدور واستبد الغيظ بالمرأة وبناتها فنظرت إلى زوجها وكأنها تستنجد به.

ظلت بدور مترددة في الاستجابة فصرخت فيها المرأة:

ـ أجلسي أيتها الشقية. . . أتريدين إغضاب الأمير؟. .

جلست بدور بتردد وعادوا جميعاً إلى المائدة، وبدأ الأمير في تناول طعامه وأرغم بدور على أكل ما يأكل منه والمرأة وبناتها وحتى والدها يتميزون حنقاً وغيظاً. .

قال الأمير:

ـ جئت إلى عمي بدعوة منه لأختار عروس من بين حسان مملكته. . . ولذلك سأقيم حفلاً كبيراً بهذه المناسبة سأدعو إليه كل فتاة في سن الزواج لحضورها. . .

تهلل وجه المرأة وبناتها وراودهن الأمل أن تكون إحداهن هي الزوجة المنتظرة ولكن ما قاله الأمير بعد ذلك قتل الأمل في نفوسهن وزادهن حنقاً على هذا الأمير الغريب الأطوار الذي قال:

ـ لي شرط، ولكن لن أفصح عنه إلا أثناء الحفل. . . يجب أن تسمعه كل فتاة في الحفل ومن استطاعت الإجابة على أسئلتي ستكون هي الزوجة المختارة. . . لذلك عليكم أن تحضروا جميعاً. . . هل سمعتم ما أقول؟ الدعوة تشمل هذه الخادمة كما تشمل أي فتاة غيرها. . .

وانتهوا من تناول طعامهم وساروا في وداعة حتى الباب حتى خرج وسار مبتعداً وهو يعرج. .

إلتفت المرأة وشاهدت بدور تتابع الأمير بنظرات هائمة تنطق بالإعجاب فصرخت فيها تنهرها:

ـ ماذا؟. . . يبدو أن هذا الأمير المجنون قد سحرك فوقفت كالحالمة تنظرين إليه. . . هيا اذهبي وارفعي المائدة واجمعي الغسيل لتغسليه. . .

أسرعت بدور ترفع المائدة وأغلق الزوج الباب وهو دهش يفكر فقالت المرأة:

ـ ماذا دهاك فوقفت في مكانك وكأنك إستحلت إلى تمثال من حجر؟

أجابها بضيق وحدة:

ـ لقد أخجلني هذا الأمير وأيقظني من الغيبوبة التي عيشتيني فيها. . .

تطلعت إليه المرأة بدهشة وغضب وقالت:

ـ هل عيشتك في غيبوبة يا رجل. . . ألا تحمد الله أنني قبلت الزواج منك. .

رماها بنظرة غاضبة وقال:

ـ يجب عليك أنت أن تحمدي ربك أنني آويتك تحت سقف بيتي لتعاملي إبنتي هذه المعاملة القاسية وكأنها خادمة ولم تخجلي من الكذب أمام الأمير فادعيت أنها خادمة. . .

كانت بدور تصغي أثناء عملها للحوار الذي تسمعه لأول مرة فلم يسبق لوالدها أن عنف زوجته من أجلها.

قال الرجل:

ـ سأذهب من فوري لأشتري لها ثياباً مناسبة لترتديها في حفل الليلة. . .

ولولت المرأة بجنون:

ـ تشتري لها ثياباً جديدة ونحن؟. . . ألسنا مثل إبنتك سنذهب إلى الحفل. . .

أجابها بصرامة:

ـ عندكن الكثير من الثياب وكلها تصلح لحضور الحفل أما هي فماذا عندها؟.

وغادرهن وذهب إلى المدينة فجن جنون المرأة ونظرت إلى بدور بحقد وقالت:

ـ أيتها الشقية الويل لك لو فكرت في الذهاب إلى هذا الحفل. . .

أجابتها بدور بهدوء:

ـ اطمئني فلن أذهب فلا مكان لي في مثل هذه الحفلات. .

ذابت غضبة المرأة واقتربت منها وقالت:

ـ أنت فتاة طيبة يا بدور. . . ألا يسعدك أن يختار الأمير زوجته واحدة من بناتي. . .

أجابتها بدور ببراءة وصدق:

ـ يسعدني بالطبع...

قالت المرأة بفرح:

ـ إذن اتفقنا... ستتنازلين عن الثياب الجديدة لواحدة منهن أليس كذلك... ما حاجتك بها الليلة على الأقل...

وافقتها بدور فقالت الأم لبناتها:

ـ هيا إلى الحمام... يجب أن تستحممن لتنزلن الأقذار المتراكمة منذ شهور على أجسادكن.

* * *

انتهزت بدور فرصة هذه الهدنة ودخولهن إلى الحمام وأسرعت إلى مخزن الغلال فوجدت الكلب نائماً في مكانه... هزّ ذنبه مرحباً بها فجلست إلى جواره وأخذت تقص عليه ما جرى وهي ساهمة شاردة...

كان الكلب ينظر اليها باهتمام وعندما قالت:

ـ ولكني لن أذهب ويكفي أن زيارة هذا الأمير النبيل كانت سبباً في ندم أبي على موافقته على معاملتي هذه المعاملة واعتباري خادمة... لقد ذهب إلى المدينة ليشتري لي ثياباً لأذهب بها إلى الحفل ولكني لن أذهب...

مد الكلب عنقه ولعق ذقنها فقالت:

ـ إنك تعزيني... كم أنت طيب يا كلبي العزيز..

وسمعت صوت زوجة أبيها تنادي عليها فهبت مذعورة وقالت:

ـ عندما يذهبن إلى الحفل سأحضر إليك وأبقى معك وقتاً طويلاً.

* * *

وجاء المساء أخيراً وأصرّت بدور على عدم الذهاب بالرغم من الثياب الجميلة التي اشتراها لها والدها وازاء إصرارها لم يسعه إلا الاستسلام فصحب زوجته وبناتها الثلاثة إلى الحفل. . .

كان القصر يتلألأ بالأنوار وجلس الملك وزوجته في صدر البهو الكبير بينما وقف إبنها الجميل يستقبل الوافدات. . .

انحنى الملك على اذن الملكة وقال:

ـ ترى هل أفاده تعلمه السحر في اختيار الزوجة كما قال؟.

أجابته الملكة:

ـ هكذا قال وإلا ما علمته السحر وهو في هذه السن. . .

ووصلن إلى القصر في أجمل زينة فرحب بهن وبالوالد الذي دخل بعدهن فسأله الأمير:

ـ أين بدور. . . ألم تشملها دعوتي؟. . . عليك الذهاب والعودة بها فوراً. . .

اقترب أحد الحراس من الأمير وقال:

ـ صاحب الجلالة أرسل في طلب سمو ولي العهد. . .

فغر الرجل فاه وقال:

ـ مولاي عفوك. . .

أجابه الأمير:

ـ إذهب وعد ببدور يجب أن تسمع ما سأقول. . . اركب جوادي لتعود بها سريعاً. .

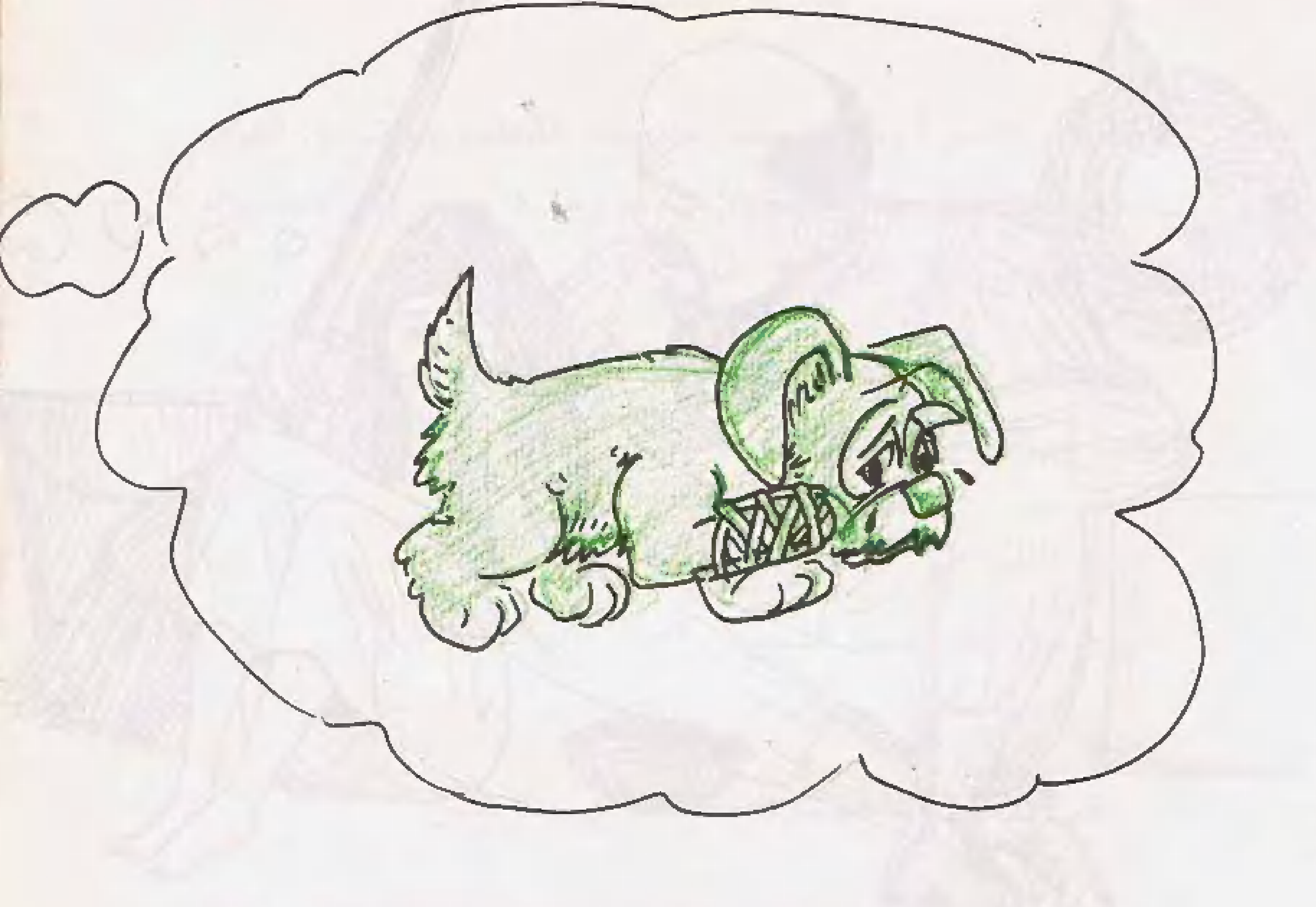


ودخل الأمير وانطلق الأب مسرعاً ودخل مسرعاً إلى المنزل وهو يهتف باسم بدور ولكنه لم يجدها بالمنزل فراح يفتش عنها فوجدها تجلس حزينة باكية حيث تركت الكلب. . .

قال لها:

ـ ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ولماذا تبكين؟ هيا فالأمير هو ولي العهد وليس أميراً كما قال. . . أرسل في طلبك وأصرّ على ذلك. . .

كانت حزينة بصورة أدهشت والدها فألّح في سؤالها حتى عرف منها قصة الكلب وكيف جاءت تتفقده ولم تجده. . .



قال لها بلهفة:

ـ لا بد أنه هنا في مكان ما... هيا بنا الآن وعندما نعود سنبحث عنه معاً...

ولم تجد توسلاتها فقد أصرّ والدها على ذهابها فذهبت بثيابها البسيطة وكانت محل سخرية كل الحاضرات وهي تدخل يلفها الخجل ولكن الأمير أشار بيده فجأة وقال بصوت سمعه الجميع:

ـ الآن... اليكن جميعاً شرطي... هرب كلبي الصغير واختفى عن الأنظار ثم عاد وساقه مكسورة ولكن فتاة منكن جبرت له ساقة وقد عرفت ذلك من قطعة الثوب الذي جبرت بها ساقه... سيدخل كلبي ومن يتعرف عليها منكن ستكون زوجتي فأنا أبحث وأفتش عن شريكة لحياتي تملك مثل هذا القلب الرقيق الحاني...



خفق قلب بدور بعنف وان أسعدها عودة الكلب إلى صاحبه الأمير وقال الأمير:

ـ الآن سأذهب وأدخله عليكن. . .

واختفى الأمير خلف أحد الأبواب فانحنى الملك على زوجته وقال باسماً:

ـ إنه هو هذا الكلب أليس كذلك؟

ابتسمت الملكة وقالت:

ـ يا له من ماكر عرف كيف يتقن القصة. . .

ودخل الكلب الأعرج الصغير وكلما مر أمام فتاة حاولت استمالته اليها ولكنه استمر في سيره حتى توقف أمام بدور وشب على قائمتيه فانحنت وحملته وضمته إلى صدرها وهو سعيد يلعق ذقنها بفرح. . .



قال الملك:

ـ تقدمي يا فتاة فأنت زوجة ابني. . .

تناولت الملكة الكلب ودخلت به في أحد الأبواب وقالت:

ـ حذار أن تعرف أنك أنت هذا الكلب الخبيث. . . .

قبل أمه وخرج إلى عروسه ليتم زواجهما بين حسد الحاسدات وحنق الحانقات وسعادة الملك والملكة. . .

قالت بدور:

ـ أين ذهبت الملكة بالكلب الصغير؟. . .

أجابها:

ـ أرسلته في عربة خاصة لشقيقتي فهو لها وليس لي. .

تمت

صدر من أساطير وحكايات

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٢٨٩ - برقيا: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها